

[وصايا نافعة في آداب التَّعَلُّمِ]

عَرُوسَ بِكَرٍ زُفٍّ لِلْأَخْبَابِ
مِنْ قُدُسِ أَنْوَارِهَا مُنِيفَةٍ
لِنَشْرِ إِسْنَادٍ مِنَ الْقَبُولِ
مَهْبُثَهَا مِنْ سُجْفِ الرِّعَايَةِ
وَبَغْضُهِمْ قَدْ اسْتَجَازَ مِنِّي
لِكُلِّ رَاغِبٍ لَهُ عِلْمُتُهُ
فِي الْأَخْذِ وَالْعِلْمِ بِكُلِّ فَنٍّ
أَوْ قُلْتُهُ فِي النَّثْرِ أَوْ فِي النَّظْمِ
إِجَازَةً فِيهَا الثَّقَى وَالْمَعْرِفَةُ
فِي أَخْذِهِ وَحِفْظِهِ وَبَذْلِهِ
فِي جَامِعِ الْعِلْمِ بِلَا إِسْنَادٍ^(١)
إِلَى الْإِمَامِ اللَّؤْلُؤِيِّ عَزَاهَا
وَمِنْهُمْ مَنْ عَزَا إِلَى الْمَأْمُونِ

فَهَاكَ مِنِّي تُخْفَةَ الطُّلَابِ
أَرْجُوزَةٌ لَطِيفَةٌ شَرِيفَةٌ
بِنَشْرِ أَمْدَادٍ مِنَ الْقَبُولِ
[مَرْبُوثَهَا] مِنْ شَرَفِ الْعِنَايَةِ
نَظْمُتُهَا لِلْأَخْذِ عَنِّي
فَقَدْ أَجَزْتُ كُلَّمَا ذَكَرْتُهُ
وَكُلُّ مَنْ قَدْ اسْتَجَازَ مِنِّي
وَكُلَّمَا أَلْفَتْهُ فِي عِلْمٍ
فَلْيَزُو مَنْ شَاءَ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ
بِشَرْطِهِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِهِ
رَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ذُو الْإِزْشَادِ
أَرْجُوزَةٌ تُعْجِبُ مَنْ رَأَاهَا
مَنْظُومَةٌ كَبِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ

(١) يقول الحافظ ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) ص ١٧٧: «وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم، وما ينسب إلى اللؤلؤي من الرجز، وبعضهم ينسبه إلى المأمون، وقد رأيت إراد ما ذكر من ذلك لحسنه، ولما رجوت من النفع به طالع كتابي هذا، نفعتنا الله وإياه به».

أَوْرَدْتُهَا هُنَا لِحُسْنِ سَوْقِهَا
وَنَصُّهَا مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ
اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ
وَالْعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيرُ
فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ
لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ
وَالْعِلْمُ بِالفَهْمِ وَبِالْمُذَاكِرَةِ
قَرُبَ إِنْسَانٍ يَنَالُ الْحِفْظَ
وَمَالَهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ
وَرُبَّ ذِي حِرْصٍ شَدِيدِ الْحُبِّ
مُعْجِزٌ فِي الْحِفْظِ وَالرُّوَايَةِ
وَأَخْرُ يُغْطِي بِالاجْتِهَادِ
يُفِيدُهُ بِالْقَلْبِ لَا بِنَاطِرِهِ
فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ
الْأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ الصَّمْتِ
فَكُنْ لِحُسْنِ الصَّمْتِ مَا حَيِّتَا
وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أَنْاسٍ مَسْأَلَةٌ
فَلَا تَكُنْ إِلَى الْجَوَابِ سَابِقًا
فَكَمْ رَأَيْتُ مِنْ عَجُولٍ سَابِقٍ
أَزْرَى بِهِ ذَلِكَ فِي الْمَجَالِسِ
الصَّمْتُ قَاعِلَمَ لَكَ حَقًّا أَزِينُ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الْأَمْرُ
فَذَاكَ شَطْرُ الْعِلْمِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ

لِلْغَائِصِينَ فِي بَحَارِ ذَوْقِهَا
مُصَلِّيًا عَلَى الْعَزِيزِ الْجَاهِ
وَالْحِفْظِ وَالْإِثْقَانِ وَالتَّفَهُمِ
فِي سِنِّهِ وَيُحَرِّمُ الْكَبِيرُ
لَيْسَ بِرَجُلَيْنِ وَلَا يَدِيهِ
فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خُلُقٌ عَجَبُ
وَالدَّرْسِ وَالْفِكْرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ
وَيُورِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَ
مِمَّا حَوَاهُ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ
لِلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ بَلِيدِ الْقَلْبِ
لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَى حِكَايَةَ
حِفْظًا لِمَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْنَادِ
لَيْسَ بِمُضْطَرٍ إِلَى قُمَاطِرِهِ
وَالْعِلْمُ لَا يَخْضُلُ إِلَّا بِالْأَدَبِ
فَفِي كَثِيرِ الْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ
مُقَارِنًا^(١) تُحَمَّدُ مَا بَقِيَتَا
مَعْرُوفَةٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ مُفْتَعَلَةٌ
حَتَّى تَرَى غَيْرَكَ فِيهِ نَاطِقًا
مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ بِالْخَطَاءِ نَاطِقٍ
بَيْنَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مُثَقَّنٌ
مَا لِي بِمَا تَسْأَلُ عَلَيْهِ خُبْرُ
كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الْحُكْمَا

(١) فِي (جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ): ١٧٨ - مُقَارَفًا ..

إِيَّاكَ وَالْعُجْبُ بِفَضْلِ رَأْيِكَ
كَمْ مِنْ جَوَابٍ أَغْقَبَ النَّدَامَةَ
الْعِلْمُ بَحْرٌ مُنْتَهَاهُ يَبْعُدُ
وَلَيْسَ كُلُّ الْعِلْمِ قَدْ حَوِيَّتَهُ
وَمَا بَقِيَ مِنْهُ عَلَيْكَ أَكْثَرُ
فَكُنْ لِمَا عَلِمْتَهُ مُسْتَفْهِمًا
الْقَوْلُ قَوْلَانِ فَقَوْلٌ تَعْلَمُهُ
وَكُلُّ قَوْلٍ فَلَهُ جَوَابٌ
وَلِلْكَلامِ أَوَّلٌ وَآخِرُ
لَا تَذْفَعِ الْقَوْلَ وَلَا تَرُدَّهُ
فَرُبَّمَا أَغْيَى ذَوِي الْفَضَائِلِ
فَيُمْسِكُوا بِالصَّمْتِ عَنْ جَوَابِهِ
وَلَوْ يَكُونُ الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ
إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبِ
إِلَى هُنَا قَدْ انْتَهَى الْمَنْقُولُ
الْعِلْمُ أَضَلُّ الدِّينِ وَالْإِحْسَانِ
دَلَّ عَلَى تَفْضِيلِهِ الْبُرْهَانُ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَا
لَا تَدْعُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ أَنْسَاءً
وَهُوَ مَعَ الثَّقَى هُدًى وَنُورُ
فَالْعِلْمُ إِنْ زَادَ وَلَمْ يَزِدْ هُدًى
فَلَا تُعَدُّ ذَاتُهُ فَضِيلُهُ
فَإِنَّهُ كَالْكَذِبِ وَالْخَيَالِ
فَحَقُّ أَهْلِ الْعِلْمِ صِدْقُ النِّيَّةِ
وَالْجِدُّ فِي الثَّقَوَى بِخَيْرِ سِيرَةٍ

وَاخْذَرْ جَوَابَ الْقَوْلِ مِنْ خُطَائِكَ
فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَةِ
لَيْسَ لَهُ حَدٌ إِلَيْهِ يُقْصَدُ
أَجَلٌ وَلَا الْعُشْرُ وَلَا أَخَصِيَّتُهُ
مِمَّا عَلِمْتَ وَالْجَوَادُ يَغْثُرُ
وَإِنْ كُنْتَ لَا تَفْهَمُ مِنْهُ الْكَلِمَا
وَأَخِرُ تَسْمَعُهُ فَتَجْهَلُهُ
يَجْمَعُهُ الْبَاطِلُ وَالصَّوَابُ
فَافْهَمْهُمَا وَالذَّهْنَ مِنْكَ حَاضِرُ
حَتَّى يُودِيكَ إِلَى مَا بَعْدَهُ
جَوَابُ مَا يُلْقَى مِنَ الْمَسَائِلِ
عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّكِّ فِي صَوَابِهِ
مِنْ فِضَّةٍ بَيْضاً بِلَا التِّبَاسِ
فَافْهَمْ هَذَاكَ اللَّهُ آدَابُ الطَّلَبِ
فَاسْمَعْ هُدَيْتَ الرُّشْدَ مَا أَقُولُ
طَرِيقُ كُلِّ الْخَيْرِ وَالْجَنَانِ
وَسُنَّةُ النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ
وَعُضْبَةُ بِالْعِلْمِ يَجْهَلُونَا
لِغَيْرِهِمْ لَا تَرْفَعَنَّ رَأْسًا
وَهُوَ مَعَ الزَّيْغِ بَذَى وَبُورُ
صَاحِبُهُ لَمْ يَسْتَفِدْ إِلَّا رَدًى
إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى الْهُدَى وَسِيلَهُ
يَكُونُ عِنْدَ الْخَلْقِ لِلْأَعْمَالِ
وَالْاجْتِهَادِ فِي صَفَا الطَّوِيَّةِ
لِيَسْتَقِرَّ الْعِلْمُ فِي الْبَصِيرَةِ

فَعِلْمُ ذِي الْأَنْوَارِ فِي جَنَانِهِ
وَأَنَّ عُثْوَانَ عُلُومِ الدِّينِ
وَأَفْضَلُ الْعُلُومِ عِلْمٌ يَنْتَرِبُ
فَلْيَبْذُلِ الْجَهْدَ بِمَا يَزِيدُهُ
وَبِالْأَهَمِّ قَالَاهُمْ يَنْتَقِي
فَإِنَّ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ تَخْتَلِطُ
فَمَا حَوَى الْغَايَاتِ فِي أَلْفِ سَنَةٍ
بِحِفْظِ مَثْنِ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ
ثُمَّ مَعَ الْفُرْصَةِ فَابْحَثْ عَنْهُ
لَكِنَّ ذَاكَ بِاخْتِلَافِ الْفَهْمِ
فَالْمُبْتَدِي وَالْقَدَمُ لَا يُطِيقُ
وَمَنْ يَكُنْ فِي فَهْمِهِ بِلَادَةٌ
أَوْ غَيْرَهَا مِنْ كُلِّ ذِي ثَوَابٍ
فَلْيَعْمُرِ الْعُمْرَ فَكُلُّ ذَرَّةٍ
وَالْعِلْمُ ذِكْرُ اللَّهِ فِي أَحْكَامِهِ
فَذِكْرُهُ فِي الذَّاتِ وَالصُّفَاتِ
لَكِنَّ كَثِيرًا غَفَلُوا بِالْعِلْمِ
وَأَدْخَلُوا فِيهِ الْجِدَالَ وَالْمِرَا
فَصَارَ فِيهِمْ حَاجِبًا لِثَوْرِهِ
فَهَلَكُوا بِقَسْوَةٍ وَكَبِيرٍ
نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَبَالِ
فَالذَّمُّ مِنْهُمْ لَا مِنَ الْعُلُومِ

وَعِلْمُ ذِي الْأَوْزَارِ فِي لِسَانِهِ
فِي الصَّدَقِ وَالْخَشْيَةِ وَالْيَقِينِ
بِهِ الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ فِيمَا يَجِبُ
نُورَ الْهُدَى فِي كُلِّ مَا يُفِيدُهُ
مِنْ كُلِّ فَنٍّ مَا يُفِيدُ مَا بَقِيَ
وَبَعْضُهَا بِشَرْطِ بَعْضٍ تَرْتَبِطُ
شَخْصٌ، فَخُذْ مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهُ
تَحْلُهُ عَلَى مُفِيدٍ نَاصِحٍ
حَقُّ وَدَقُّ مَا اسْتُمِدَّ مِنْهُ
مُخْتَلِفٌ وَبِاخْتِلَافِ الْعِلْمِ
بَحْثًا بِعِلْمٍ وَجْهُهُ دَقِيقٌ
فَلْيَصْرِفِ الْوَقْتَ إِلَى الْعِبَادَةِ
وَلَوْ بِحُسْنِ الْقَصْدِ فِي الْأَسْبَابِ
مِنْهُ رَخِيصَةٌ بِأَلْفِ ذَرَّةٍ
عَلَى الْوَرَى كَالشُّكْرِ فِي إِنْعَامِهِ^(١)
كَالذِّكْرِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْآيَاتِ
وَحُكْمِهِ عَنْ رَبِّهِ ذِي الْحُكْمِ
فَكَثُرَتْ آفَاتُهُ كَمَا تَرَى
عَنْهُ فَمَا ذَاقُوا جَنَى مَأْثُورِهِ
وَحَسَدٍ وَعُجْبٍ وَمَكْرٍ
وَالْعَوْدُ بَعْدَ الْحَقِّ فِي الضَّلَالِ
فَائِئْهَا مِنْ طَاعَةِ الْقَيُّومِ

(١) ورد قبل هذا البيت في النسخة التي اعتنى بها الشيخ نظام يعقوبي، قوله:
فَيَضْبِطُ الْأَوْقَاتَ بِالْمَرْفُوتِ مِنْ قَبْلِ سَبْقِ فِثْنَةٍ وَقُوتِ

فَحَقُّ مَنْ يَخْشَى مَقَامَ رَبِّهِ
وَلْيَجْتَهِدْ بِكُلِّ مَا فِي دِينِهِ
وَأَنْ يُدِيمَ الذِّكْرَ بِالْإِمْعَانِ
لِيَفْرِسَ التَّحْقِيقَ بِالْيَقِينِ
حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ مَوْتِ جِسْمِهِ
طُوبَى لِمَنْ طَابَ لَهُ فُؤَادُهُ
فَسَارَ فِي الْحَقِّ عَلَى طَرِيقِهِ
عَلَى اتِّبَاعِ الْمُضْطَفَى مَبْنِيَّهِ
فَيَبْلُغُ الْقَضْدَ بِكُلِّ جُودٍ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَآلِهِ
مُسْلِمًا عَلَيْهِ بِالدَّوَامِ
أَنْ يَغْتَنِي بَعَيْنِ مَعْنَى قَلْبِهِ
يَزِيدُهُ بِالْحَقِّ فِي يَقِينِهِ
وَالْفِكْرَ فِيهِ فِي جَمِيعِ الشَّانِ
فِي قَلْبِهِ بِالْحَقِّ وَالتَّمَكِّنِ
حَيَّ الْحَجَّاءَ بِنُورِهِ وَعِلْمِهِ
بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى عَلَيْهِ زَادُهُ
بِالْحَقِّ تَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ
فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَعَقْدِ النِّيَّةِ
بِبَرَكَاتِ أَحْمَدَ الْمَحْمُودِ
وَصُحْبِهِ وَتَابِعِي أَحْوَالِهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ [١٢٨٢]

هذا آخر ما قصدت إيرادها من نظم أسانيد الشيوخ رحمهم الله تعالى
ونفعنا بهم. وفرغت من تبييضه إشراق يوم الجمعة المبارك ثالث محرم
الحرام مفتح شهور سنة ١١٩٥ بمنزلي بسويقة لالا بمصر.

وكتب محمد مرتضى الحسيني أبو الفيض لطف الله به، حامداً الله
ومصلياً ومسلماً ومستغفراً ومحتسباً.

ونقله من خطه رضي الله عنه سلامة بن السيد محمد الأشبولي الحنفي
الأزهري - غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه.

آمين، والحمد لله رب العالمين

